

الشيخوخة وموقف الفكر التربوي العربي الاسلامي منها " جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا "

م.د. ندوى محمد محمد شريف

كلية الاداب - خانقين / جامعة كويه

ملخص البحث :

يسعى الدين الاسلامي عبر توجهاته ونظمه الاجتماعية والاخلاقية الى ان يشيع اجواء الرحمة والاحترام والعطف في ال علاقات بين ابناء المجتمع الاسلامي وذلك لان هذه الأجواء هي التي تتمكن من امتصاص كل السلبيات وتجاوز كل العقبات التي تحول دون المزيد من التلاحم والتكافل بين ابناء المجتمع الواحد ، والذي ينظر الى القيم الاجتماعية الاسلامية التي يحظى بها المسن في الشريعة الاسلامية يجدها تمثل الوسيلة الوحيدة التي تخفف امراض و اعراض الشيخوخة اذ تجعله يشعر بانه ذو شأن كبير ومنزلة رفيعة في المجتمع فهو المقدم في الكثير من الامور وهو المبجل والمحترم .

وقد حاولت الباحثة من خلال هذا البحث التعرف على موقف الفكر العربي الاسلامي من كبار السن من النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية متبعة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي ، وتناول البحث الحالي التغيرات التي تطرأ على المسن من النواحي كافة مستشهدا بآيات قرآنية موضحا الاساليب التي يراعي فيها التشريع الاسلامي هذه التغيرات محاولا التخفيف والتيسير على المسنين في امور كثيرة وفي ذلك استشهدت الباحثة ايضا بآيات من القرآن الكريم وباحاديث نبوية شريفة مع اقوال بعض المفكرين العرب المسلمين .

ومن خلال هذا البحث استنتجت الباحثة ان رعاية المسنين في الاسلام تقوم على عدة مرتكزات ابرزها ا : الانسان مخلوق مكرم ومكانته محترمة في كل مراحل

العمرية اذ ان توقير الكبير من سمات المجتمع المسلم ،وان الدين الاسلامي قد خفف ويسر كثيرا من الامور على المؤمنين من كبار السن في عدد من الاحكام والتشريعات ، ومن ثم اوصت الباحثة بالتأكيد على الحث على رعاية المسنين والتأكيد على أمنهم الاقتصادي والمالي وحفظ سلامتهم والحث على تعليمهم المستمر لمواجهة مشكلات الحياة ودخولهم ميادين العمل مما يخلق لديهم الاحساس الدائم بحاجة المجتمع اليهم وبقية الكثير من اعراض الوحدة والعزلة والملل واليأس .

" الفصل الأول "

الاطار العام للبحث

أهمية البحث والحاجة اليه :

الدين ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفة مهمة بالنسبة للمجتمع ، اذ يجيب عن اسئلة تصوغها العقول ، وفي كل حالة فان الدين يكون استجابة نفسية وعقلية لمطالب الحياة البشرية ، كما تصدى له المفكرون والفلاسفة والتربويون . (سلطان ، 1977ص10)

وكل قضية من القضايا تثار نجد في الدين وجهة نظر فيها ، وميزة الدين الاسلامي انه دين الحاضر والمستقبل ، فاطار هذا الدين ونظرياته الكلية الشاملة أعدت لتستوعب المجتمعات ومراحل تطورها ، والانسان في أي مستوى عمري لايعيش في فراغ ، فالوجود عملية اعتماد الناس بعضهم على بعض اجتماعيا واقتصاديا و(المسنون) فئة مهمة ازداد حجمها واتسع نطاق تمثيلها في الهرم السكاني بتقدير الله سبحانه وتعالى اولا ، ومع تقدم وسائل المعيشة الحديثة وتقدم علوم الطب وتحسن مستوى الخدمات الصحية واتخاذ الاجراءات الوقائية والعلاجية في جميع انحاء العالم ، مما أظهر تطورا ايجابيا على صحة السكان عموما ، وقلة الولادات وقد باتت زيادة اعداد كبار السن بالنسبة للسكان امرا مؤكدا ، فمن المتوقع ان تتضاعف نسبة اولئك الذين يبلغون من العمر ستين عاما فما فوق بين سكان العالم لتصل الى 22 % في عام (2050) بعد ان كانت تتاهز 11 % في عام (2006) وان العدد الاجمالي للمسنين في البلدان النامية يتجاوز حاليا عدد المسنين

في البلدان المتقدمة بنسبة الضعف تقريبا وبحلول عام (2050) سيكون نحو 80 % من مجموع المسنين على الصعيد العالمي من سكان البلدان الاقل نموا . (دليل المدن الصديقة للمسنين) لذا كان من اهم الاسباب والدوافع التي ادت الى تزايد الاهتمام بمرحلة الشيخوخة والتقدم في العمر على المستوى العالمي تزايد نسبة كبار السن في المجتمعات بشكل واضح مما يشير الى اننا أمام فئة عمرية ليست بالقليلة وتستحق الاهتمام و الرعاية من قبل المجتمع والدارسين .

وتعد الشيخوخة احدى مراحل الحياة الانسانية نكاد نمر بها جميعا ، فالجميع يتقدم في العمر ، الا ان تأثير هذه المرحلة يتباين حسب الافراد والمجتمعات والقيم والثقافات السائدة ، ويمثل الاهتمام بالمسنين جانبا اساسا من جوانب الاعتناء بالثروة البشرية التي اصبحت اغلى الثروات جميعا في عصرنا الحاضر ، تلك الثروة التي تفوق قيمة الثروات الاخرى .(بيسكوف ، 1984 ص19)

وان مرحلة الشيخوخة من المراحل الحساسة في عمر الفرد ، فهي لاتعني تغيرات بايولوجية وفسولوجية فحسب ، ولكنها ظاهرة نفسية واجتماعية تتمثل في موقف المجتمع من المسن ومايفرضه عليه من قيود وقواعد سلوكية يلتزم بها كما تتمثل ايضا في موقف المسن من نفسه ومن الاخرين .

وفي هذا العصر الذي نحرص فيه على تجميع كل طاقاتنا البشرية في سبيل البناء تقف مسألة رعاية المسنين ضمن الموضوعات الاساسية التي يجب ان تحظى باهتمام المشتغلين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والطب وغير ذلك من التخصصات ، ففي خبرة المسنين عندنا معاني التراحم والتعاطف وابتغاء الأجر في خدمتهم ، والتقرب الى الله في البر بهم خلافا لأوضاع المسنين في المجتمعات الاخرى التي تدعي الحضارة والتقدم .

وفي البلدان ذات الحضارات العريقة المعززة بمضمون روحي ديني ، وجد المسنون الأمان من خلال الاوقاف والصدقات والزكاة والجوامع فضلا عن حقيقة ان العلاقات القوية والعميقة للأسرة الممتدة كانت توفر الطمأنينة لهذه الفئة. (حافظ ، 2002 ص356)

وقد أصبحنا اليوم في أمس الحاجة الى التعامل مع ظاهرة الشيخوخة على انها جزء لا يتجزأ من النسق الاجتماعي الاكبر ، وانها حلقة من حلقات التاريخ وجزء لا يتجزأ من وجود كل مجتمع ، اذ ان خشية الموت تأخذ الان طابعا خاصا بالنسبة للمجتمعات التي تقلص فيها الشعور الديني ، والتي تظهر اهتماما محدودا با لأجيال التالية لأن احوال المسنين تدهورت في العصر الحديث ، فالمجتمع الصناعي يعرف المسنين بانهم عديمي الفائدة ، ويجبرهم على التقاعد قبل استنفاد طاقاتهم في مجال العمل ، ويقلل من اهمية الخبرة ويعظم من اهمية القوة الجسدية وتوليد افكار جديدة مما يفرض العزلة الاجتماعية على المسنين . (شعبان وسمير صلاح الدين ، 1984ص122)

لذا فقد تزايد في الآونة الاخيرة الاهتمام بهذه الفئة ، فقد اكدت المادة (25) الفقرة (أ) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر عام 1948 على ان :

" لكل انسان الحق في مستوى معيشي ملائم لصحته ورفاهيته وكذلك لصحة ورفاهية أسرته ، بما في ذلك المأكل والملبس والسكن ، والرعاية الطبية والخدمات الضرورية ، والحق في الامان عندما يتقدم به السن "

(الاعلان العالمي لحقوق الانسان)

واعلنت الجمعية العامة 1 تشرين الاول اليوم الدولي لكبار السن بموجب القرار 45/106 المؤرخ في كانون الاول 1990 وذلك في اطار متابعة لتنفيذ مبادرات الامم المتحدة من قبيل خطة عمل (فيينا) الدولية للشيخوخة التي اعتمدها الجمعية العالمية للشيخوخة عام 1982 وقرارها في وقت لاحق من تلك السنة ، وبأن (1982) هو العام الدولي للمسنين لتركيز الجهد من اجل بحث قضايا المسنين ومعالجة مشاكلهم وزيادة الاهتمام برعايتهم الاجتماعية والصحية والنفسية والمعيشية ، مما نبه المسؤولين عن التخطيط لاعطاء المزيد من الاهتمام بهم .

(اليوم الدولي للمسنين)

وقد أوصى المؤتمر الدولي الرابع لتعليم الكبار في باريس عام (1985) بالعمل على زيادة الدراسات والبحوث حول القضايا المتعلقة بتعليم الكبار من أجل تهيئة اسس مستندة الى المعلومات الصحيحة لتخطيط وتنفيذ أنشطة تعليم الكبار. (العاني واخرون ، 1994 ص39)

وفي العراق تقوم الرعاية الاجتماعية لكبار السن على مبادئ التكافل الاجتماعي المستوحاة من احكام الشريعة ومن الواقع الاجتماعي والميراث الحضاري للامة العربية ، فقد جاء في قانون الرعاية الاجتماعية (126) لسنة (1980) عدة مواد تكفل الاهتمام بالمسنين منها المادة (3) : " العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن ، وهو واجب على كل قادر عليه ... وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في حالتي العجز والشيخوخة " . (وزارة العدل ، 1980 ص4)

وان كان هذا الاهتمام بين الدول المعاصرة لم يبرز الا في السنوات الاخيرة ، فان الاسلام قد نظم هذا الامر واكد عليه قبل اكثر من اربعة عشر قرنا ولكن للأسف اننا نعيش تخلفا حضاريا وغزوا ثقافيا تغلب عليه سيطرة القيم المادية وانتشار الانانية وحب الذات مما قد يؤدي الى سقوط النظام القيمي والاخلاقي الموروث والذي يمثل جوهر ثقافة المجتمعات الاسلامية . (الراوي ، 1999 ص93)

وقد سبقت تعاليم الدين الاسلامي ا لأنظمة الحديثة لرعاية الشيخوخة ، اذ يحظى الكبار في مجتمعنا الاسلامي غالبا بمزيد من التقدير والرعاية والاحترام ، وتشير الدراسات الى ان كبار السن في عدد من دول العالم يتعرضون لسوء المعاملة والعنف من قبل أسرهم سواء جسديا او نفسيا من خلال الشتم أو الاهانة أو الضرب وقضايا الاعتداء أو حتى ماديا من خلال حجر بعض الابناء على آبائهم ، وهكذا نجد لزاما علينا ان نقوم بواجبنا تجاه كبار السن بالعناية بهم وتأمين ما يليق بهم من خدمات ورعاية كأشخاص يستحقون الحياة الكريمة ، وهذا من اعظم الواجبات الانسانية فهذه الفئة التي بلغت عمرا معيناً فقدتها القدرة والفعالية والنشاط لاتشكل قوة

ضاغطة على المجتمع ، ومن هنا نجد شريعتنا الاسلامية حثت على احترام وتقدير كبار السن في قوله تعالى :

((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفًّا وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)) . (1)

ويشهد العالم تحركا واهتماما زائدين في بحث قضية الشيخوخة وماتعانيه هذه الفئة من امراض صحية وبيئية واخرى متعلقة بالفقر خاصة في البلدان النامية ، التي تعاني من نقص كبير في تقديم الخدمات والرعاية للمسنين . لذا تقف مسألة رعاية المسنين الذين يزداد عددهم باستمرار وحماية حقوقهم احدى التحديات الكبيرة في مختلف الدول النامية منها والمتقدمة وهي ضمن الموضوعات التي يجب ان تسترعي اهتمام المسؤولين ، كما يجب ان يشارك في بحثها ، المشتغلون في ميادين العلوم الانسانية المختلفة فلم تعد النظرة الى كبار السن في المجتمعات الحديثة نظرة اهمال او شفقة بل اصبحت نظرة اهتمام ورعاية مستمرة ، كونه بعدا انسانيا وان الواجب الديني والاخلاقي والقيمي يلزم علينا ان نوليهم الرعاية .

ومادام هذا الاهتمام المتزايد بالمسنين ، يتساءل المرء عن مكانة المسن في الشريعة الاسلامية ؟ وذلك ماستحاول الباحثة الاجابة عنه من خلال هذه الدراسة ، وكما وردت من نصوص في القرآن الكريم واحاديث النبي محمد ﷺ واقوال عدد من المفكرين العرب في هذا الباب .

وان مادفع الباحثة الى اجراء هذا البحث هو اهمية الموضوع من الناحية العلمية والعملية ، فضلا عن حاجة المجتمع لهذا النمط من الدراسات ، اذا ما علمنا ان ماكتب عن هذا الموضوع يعد قليلا ، اذ ان حيز الاهتمام بالمسنين لايزال بحاجة الى المزيد من الجهود العلمية ، وان هذه الفئة العمرية لم تحظ باهمية من البحث كما حظيت بها فئات العمر الاخرى ولاسيما على مستوى العراق ، ولاننا بحاجة الى ابراز دور الفكر العربي الاسلامي لان هذا الفكر لم يجد حتى الان من يحلله التحليل

الذي يتكافأ مع عمقه واصالته واتساعه وشموله وتكامله كما ان الفكر التربوي العربي الاسلامي اصبح اكثر اهمية من اي وقت مضى حيث تسعى الامة العربية الاسلامية الى التحرر من الاستعمار الثقافي ومن التبعية للتيارات الفكرية المختلفة ، فضلا عن ذلك فان الواجب الديني والانساني الذي حثت عليه جميع الاديان يدعو الى الالتفات لفئة المسنين الذين امضوا سنوات شبابهم في العطاء .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي تعرّف موقف الفكرالتربوي العربي الاسلامي من الشيخوخة جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا .

منهجية البحث :

اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي من خلال نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واقوال بعض علماء الدين والفلاسفة .

" الفصل الثاني "

الشيخوخة Senescence

يطلق على هذه المرحلة احيانا مرحلة المعمرين Aging او مرحلة التقدم في العمر Elderly.

1- المعنى اللغوي للشيخوخة :

الشيخ من ادرك الشيخوخة ، وهي غالبا عند الخمسين ، وهو فوق الكهل ودون الهرم ، وهو ذو المكانة من علم او فضل او رياسة .(مجمع اللغة العربية ، 1990 ص468)

وقد حدد(ابن منظور) الشيخوخة بقوله : " الشيخ : الذي استبانته فيه السن وظهر عليه الشيب ، وقيل : هو من الخمسين الى الثمانين " .(ابن منظور ، 2003 ص245)

2- المعنى الاصطلاحي للشيخوخة :

المسن يعرّف بانه : من دخل طور الكبر او الشيخوخة مع التسليم بما هو متعارف عليه بان هذا الشعور يبدأ من سن الستين ، واتفق خبراء الامم المتحدة على

ان من وصل الى سن (60) عاما فأكثر يعد شخصا مسنا . (آغا ، 1984 ص157)

كما تعرف الشيخوخة بانها حالة نفسية وعقلية لدى الافراد ليس لها بداية محددة في عمر محدد وانما هي نسبية والاحساس بها نسبي . (منسي وآخرون ، 2000 ص273)

والمسنون هم فئة من الناس يدخلون مرحلة من النمو والنضج يطلق عليها البعض (العمر الثالث) وهي مرحلة طبيعية في حياة الانسان . (خليفة ، 1984 ص109) **الشيخوخة من الناحية البيولوجية** : عبارة عن نمط شائع من الاضمحلال الجسمي في البناء والوظيفة يحدث بتقدم السن لدى كل كائن حي بعد اكتمال النضج وهذه التغيرات الاضمحلالية المساييرة لتقدم السن تعتري كل الاجهزة الفسيولوجية والعضوية والحركية والدورية والهضمية والبولية والتناسلية و الغدية والعصبية والفكرية .(قناوي ،1987ص17،

الشيخوخة من الناحية السايكولوجية : حالة من الاضمحلال تعتري امكانات التوافق النفسي والاجتماعي للفرد فنقل قدرته على استغلال امكاناته الجسمية والعقلية والنفسية في مواجهة ضغط الحياة لدرجة لا يمكن معها الوفاء الكامل بالمطالب البيئية او تحقيق قدر مناسب من الاشباع لحاجاته المختلفة . (قناوي ،1987ص51،

اما تعريف منظمة الصحة العالمية (1972) فانه يعد سن الخامسة والستين على انها بداية كبر السن لان هذه السن تتفق مع سن التقاعد في معظم الدول . (الزبيدي ، 2005 ص 11)

وصف مرحلة الشيخوخة في التشريع الاسلامي

لقد صورالله سبحانه وتعالى مراحل نمو الانسان الذي خلقه في احسن تقويم قبل الولادة وحتى الممات ، وجاء ذكر الشيخوخة بوصفه آخرايام العمر في قوله تعالى :

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)) (2).

كما عدها الرسول ﷺ بأنها آخر مرحلة قبل الموت بقوله : ((بادروا بالاعمال سبعا ، هل تنتظرون الا فقرا منسيا ، او غنى مطغيا ، او مرضا مفسدا ، او هرما مفندا او موتا مجهزا)) . (ابن العربي ، ب.ت ص 185)
وعن المراحل العمرية للانسان تحدث الفيلسوف (ابن باجه) بقوله : " فقد يوجد جنينا ، وذلك عند كونه في الرحم ، ثم يوجد طفلا ، وذلك اثر وضعه ثم يوجد يفة ويوجد شابا ، ثم يوجد كهلا ، ثم يوجد شيخا " . (ابن باجة ، 1968 ص 73)
وتعمل الاديان عموما على تعزيز التضامن الاسري وبعد احترام كبار السن من تعاليم جميع الاديان السماوية ، وخاصة كبار السن من الوالدين ، وان الامر ببر الوالدين ليس مختصا بالامة الاسلامية ، بل هو مما كتب على السابقين لأهميته ووجوبه اذ قال تعالى : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) (3).

وللدين و شعائر الاسلام تاثير قوي وأثر عميق في حياة المسلم ، فالاسلام ليس عقيدة فحسب ، ولكنه نظام اجتماعي ككل يؤدي دورا مهما في تشكيل سلوك المسلم ، وقد قرن الله وجوب الاحسان الى الوالدين وبرهم بوجوب توحيد الله والنهي عن الشرك به في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

((وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) (4) للدلالة على ان ذلك بمكان من الأهمية اذ يأتي بالدرجة الثانية بعد عقيدة التوحيد وما أعظمها من درجة ، كما وقد اتى بر الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة في محبة الله ، لما رواه (ابن مسعود) رضي الله عنه حين قال : (سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله) . (البخاري ، 1401 هـ ج 1 ص 197)

وأوجب الله سبحانه وتعالى على الولد بذل أقصى الرعاية لهما والرحمة بهما في ضعفهما واحتياجهما بقوله تعالى : ((وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)) . (5)

ويشتمل بر الوالدين الأدب معهما باستعمال كل ما حسن من الأقوال والأفعال ونهى الله سبحانه وتعالى عن أي شكل من أشكال الإهانة بالنسبة إلى الوالدين وعن كل ما من شأنه أن يؤذيها ويجرح مشاعرهما ويسبب ألمهما سواء كان كلمة أو تصرفاً فيه يعبر عن التأفف والتضجر بقوله تعالى :

((فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)) . (6)

كما أمر الولد بابتداء التواضع والرحمة والقول الكريم تجاه والديه وخفض جناح الذل وأمره بالاستغفار لهما في النص القرآني الذي يذكر مرحلة الكبر ويشدد على الإنسان التسليم لأوامرهما بقوله تعالى :

((وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) . (7)

وانه عز وجل لفت نظر الولد إلى التضحية والجهاد الذي عاناه الوالدان في

تربيته اثناء صغره ، لذلك أمر الله تعالى الولد ببدء الشكر لوالديه بقوله :

((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)) (8)

كما أكد الاسلام المعاملة الحسنة وبالوالدين وضرورة رعايتهم وخاصة عندما يكبرون اذ حث على الاحسان

اليهما في كل مراحل العمر ورعايتهم تجسيدا لقوله تعالى :

((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)) . (9)

وقوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) . (10)

كما أمر النبي محمد ﷺ برعاية صديق الوالدين ولو بعد موتها وعد ذلك من بر الوالدين بقوله : ((أبر البر ان يصل الرجل ود ابيه)) . (مسلم ، 2005 ص1076)

ولقد بين الرسول محمد ﷺ ان بر الوالدين سبب لاطالة العمر وزيادة الرزق ، فقد قال ﷺ : ((من أحب ان يمد له في عمره وان يزداد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)) . (احمد ، 413 هـ ص291)

وقد عد الرسول ﷺ عقوق الوالدين من اكبر الكبائر بقوله : ((ألا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاث ، قالوا : بلى يارسول الله قال : الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا : ألا قول الزور)) . (البخاري ، 2003 ص27)

وقال الرسول محمد ﷺ : ((من الكبائر شتم الرجل والديه)) قالوا : يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : ((نعم ، يسب ابا الرجل ، فيسب اياه ، ويسب امه ، فيسب امه)) . (مسلم ، 2005 ص53)

وأشار الى ان دعوتها مستجابة عند الله تعالى اذ قال ﷺ : ((ثلاث دعوات مستجابات لهن لاشك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالدين على ولدهما)) . (البخاري ، 2003 ص32)

التغيرات المصاحبة لمرحلة الشيخوخة وموقف الاسلام منها :-

تتسم مرحلة الشيخوخة بعدة خصائص وتغيرات تميزها من غيرها من المراحل وهذه التغيرات تحدث نتيجة عدة عوامل بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية ونفسية يمر بها الفرد ولقد اصبح الان اتفاق شبه عام على ان بدء الشيخوخة هو سن الستين ، وهذا هو ما اصطلح عليه الدارسون للشيخوخة كظاهرة صحية واجتماعية ، وكثير من الحكومات عدت سن 60 او 65 بداية للشيخوخة وانطلاقا من ذلك سنت تشريعات وقوانين يجبر بموجبها كل من بلغ هذه السن ان يعتزل العمل ، ولكن بداية الشيخوخة يختلف باختلاف الاشخاص والبيئات وعوامل اخرى . (فناوي ، 1987 ص4)

مع كل ذلك يصاحب مرحلة الكبر لدى الانسان ضعف عام ، فقد قال سبحانه وتعالى : ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)) . (11)

فالانسان يمر بثلاث مراحل رئيسة فيبدأ وليدا ضعيفا ، ثم شابا قويا ، واخيرا شيخا ضعيفا والضعف الاخير نسبي بين البشر فالشيخوخة هي نهاية مطاف الانسان في مرحلة نموه وتطوره على الارض ، اذ قال تعالى :

((وَمَنْ نَعَّمْهُ تُنَكَّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ)) . (12)

وفي ادناه ستعرض الباحثة ابرز التغيرات المصاحبة لمرحلة الشيخوخة وموقف الفكر العربي الاسلامي منها :

1- التغيرات الجسمية :

تظهر بعض التغيرات التي يمكن ملاحظتها على الانسان في حالة تقدمه في السن ومنها تجعد الجلد وجفافه مع ضعف في الحواس بشكل عام ، وبطء الحركة وترهل بعض العضلات ، وتغير لون الشعر وهناك تغيرات جسمية غير مرئية كضعف العظام وانخفاض حرارة الجسم وارتفاع نسبة الاصابة ببعض الامراض لارتفاع ضغط الدم والسكر والقبض المزمن والضعف الجنسي . (ستيفن وشرودر ، 1413هـ ص6)

ومن التغيرات البيولوجية والفسيوولوجية تغير معدل الأيض بتغلب عوامل الهدم على عوامل البناء في الجسم وتغير معدل نشاط الغدد الصماء وتغير قوة دفع الدم وتغيرات في الجهاز الهضمي . (خليفة ، ب.ت ص22-24)

ومن مظاهر التعبير عن الجوانب البيولوجية والفسيوولوجية لمرحلة الشيخوخة ما جاء ذكره في القرآن الكريم عن الضعف الجسمي بشكل عام وبياض الشعر بشكل خاص اذ قال تعالى :

((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)) . (13).

وعن العقم وفقدان القدرة الجنسية قال تعالى :

((قَالَتْ يَوْنَيْتَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)) (14).

والاسلام قد راعى في احكامه الضعف الذي يعيشه كبار السن ، ورتب على ذلك احكاما خاصة بهم تتصف باليسر والتخفيف ومراعاة لحالتهم البدنية وحط عنهم الاثم في ترك ما لا يقدرون عليه بتأييدا لقوله تعالى :

((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)) (15).

وقوله : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) (16).

وقوله ﴿يَسْرُوا وَلَا تَعْسُرُوا ، وبشروا ولا تنفروا)) ، وقوله : ((ايها الناس ، انكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة ((. (الزبيدي ، 2007 ص 37 ، 40)

و رخص للمريض وللمسن ان يصلي بالكيفية التي يستطيعها اذ قال ﴿يَسْرُوا﴾ : ((صل قائما فان لم تستطع فقايدا فان لم تستطع فعلى جنب)) . (سورة ، 2005 ص132)

وعن عائشة رضي الله عنها ، انها لم تر رسول الله ﴿يَسْرُوا﴾ يصلي صلاة الليل قاعدا قط حتى أسن ، فكان يقرأ قاعدا ، حتى اذا أراد أن يركع قام ، فقرأ نحو من ثلاثين آية أو أربعين آية ، ثم ركع . (الزبيدي ، 2007 ص 140)

وقد اباح الله سبحانه وتعالى الافطار في شهر رمضان بالنسبة للمسن والمريض الذي لا يقوى على الصوم او انه يقدر على الصوم ولكن بضرر ومشقة واطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى : ((وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (17).

وشرع الانابة عن المسن في الحج لعجزه عن ذلك ، فحين سئل الرسول ﴿يَسْرُوا﴾ من امراة عن من ادركته فريضة الله في الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع ان يستوي على ظهر البعير قال : ((حجي عنه)) . (سورة ، 2005 ص285)

وفي التراث العربي الاسلامي نجد ان هناك نصوصا واقوالا لكثير من الحكماء والشعراء والفقهاء في وصف الاحوال الصحية المنهارة لكبار السن ، فقد انشد الشاعر (ابو العتاهية) متحسرا على الشباب :

عريت من الشباب وكنت غصنا كما يعرى من الورق القضيبي
فياليت الشباب يعود يوما فاخبره بما فعل المشيب.

(الهوري ، 2004 ص44)

ويقول (الشريف المرتضى) : " ان الشيب قد يمدح ويذم ، فيمدح بان فيه الجلالة والوقار والتجارب والحنكة ، ويذم بانه رائد الموت ونذيره وانه يوهن القوة وان النساء يصدن عنه ويعين به ". (الشريف المرتضى ، 1303 هـ ص86)

2 - التغيرات العقلية :

ومن المظاهر المميزة لمرحلة الشيخوخة حدوث تغيرات في القدرات العقلية فيتصف تفكير المسن عادة بالصلابة وسرعة النسيان وضعف القدرة على التكيف مع الأفكار الجديدة او محاولة تطوير عاداته القديمة وضعف الذاكرة وتضح عظمة القران الكريم ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الانسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بانها عودة الى ارنل العمر فقد ورد مايشير بوضوح الى توقف القدرة على التعلم وسوء الحفظ وذلك في قوله تعالى : ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)) . (18)

وأردل العمر كما ذكر المفسرون هو : أخسه وآخره الذي تضعف فيه القوى وتفسد فيه الحواس وبختل فيه النطق والفكر ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ وخصه الله تعالى بالرديلة لأنه حالة لارجاء بعدها لاصلاح مافسد . (ابن كثير ، ب.ت ص577)

الا ان من المفسرين من ذكر ان بعض المؤمنين يستثنون من حالة الرد الى ارنل العمر فقد قال (القرطبي) : ان هذا لا يكون للمؤمن لأن المؤمن لاينزع عنه علمه . (القرطبي ، ب.ت ص 141)

وقد تضافرت الاحاديث الواردة عن الرسول ﷺ ان المؤمن لايزاد في عمره الا يكون خيرا له ، فضلا عن ان المسن المؤمن له مكانة خاصة تتمثل في تجاوز سيئاته وشفاعته لأهل بيته اذ قال ﷺ : ((لايتمنى احدكم الموت ، ولايدع به من قبل ان يأتيه ، انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لايزيد المؤمن عمره الا خيرا)) . (مسلم ، 2005 ص1122) .

وقوله : ((أعذر الله الى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة)) . (الزبيدي ، 2007 ص468)

ولا يوجد حد يقف فيه الانسان عن التعلم ، فهو في عملية تعليمية مستمرة فقد قال تعالى :

((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)) . (19)

وامرنا نبينا العظيم محمد ﷺ بطلب العلم من المهد الى اللحد وجعله فريضة وواجبا من واجبات المسلمين ، ونص عليه حديثه الشريف : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) . (الهيثمي ، 1407ج1ص120) وقوله : ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)) . (سورة ، 2005 ص40)

وكلما كبر الانسان ازداد وعيه للذة المعرفة وشعوره بها ، لذلك كان بعضهم يرى ان اواخر الحياة اجدى وانفع لطلب العلم ، لما يتمتع به العالم من النضج والاستيعاب ، ولم يحدد الدين الاسلامي عمرا يتوقف فيه الفرد عن طلب العلم ، فعن (ابي هريرة) رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : ((من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر ومن تعلم العلم بعدما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء)) ، كما قال رسول الله ﷺ : ((ايما ناش نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب الله له اجر 92 صديقا)) . (الهيثمي ، 1407ج1 ص125) وقوله : ((من طلب العلم كان كفارة لما مضى)) . (سورة ، 2005 ص39)

وقد كان اصحاب النبي محمد ﷺ يتعلمون شيوخا وكهالا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقرآن الكريم والسنن ولهم بحر العلم واطوار الحكمة والفقہ. (محمد ، 2004ص1999)

وطالما الانسان يعيش في هذه الحياة فهو لاينقطع امله اذ قال ﷺ : ((لايزال قلب الكبير شابا من اثنتين : في حب الدنيا وطول الامل)) . (الزبيدي ، 2007 ص468)

ومن علمائنا الذين قالوا بضرورة استمرار الفرد بطلب العلم من غير ان يؤخذ العمر بنظر الاهتمام ، (الماوردي) بقوله : " وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبر سنه ، واستحياءه من تقصيره في صغره ، وان يتعلم في كبره فرضي بالجهل ان يكون موسوما به ، وأثره على العلم ، أن يصير مبتدئا به ، وهذا من خدع الجهل ، وغرور الكسل لأن العلم اذا كان فضيلة ، فرغبة ذوي الاسنان (الاعمار المتقدمة) فيه أولى في أن يكون شيئا جاهلا " ، ويؤمن (الماوردي) بان عدم تعلم الكبير يعود الى عوامل نفسية لا الى عوامل ضعف القدرات العقلية لأنه يؤمن بان العقل ينمو عن طريق الخبرات ، والكبير تزداد قدراته بتقدم العمر وبذلك يقول : " وأما العقل المكتسب ... فليس لهذا حد ، لأنه ينمو ان استعمل ، وينقص ان اهمل " وينصح بان يتقبل الكبير تعلمه دون ان يخضع لحساسية العمر كأن يخجل من ممارسة الأوليات التي يمارسها في العادة الصغار ، ويقول : " فيستحي ان يبتدي بما يبتدي الصغير ، ويستتشف ان يساويه الحدث الغرير الجاهل المغرور " . (الماوردي ، 1955 ص6-41)

وهذا الامر الذي شخصه (الماوردي) قبل أكثر من ألف عام يؤكد المرهون المعاصرون في دراساتهم الحديثة ،

اما (ابن باجه) فقد تحدث عن ابرز السمات العقلية للمسئ واقتراح برنامجا تربويا لمرحلة الشيخوخة بقوله :

((مرحلة الشيخوخة ، وفيه يتسم الشخص بجودة الرأي وجودة المشورة والحكمة والعقل ، ومرحلة سن الهرم ، وينبغي فيها ان يتسم الانسان بالحكمة ، لذا يجب ان

يضع البرنامج مواد تعليمية تحقق تشكيلا لشخصية الانسان الحكيم () . (ابن باجه ،1968 ص74)

لذا فان كل كبير يحتاج لأن يتعلم اشياء جديدة ، وان اية طريقة يتبعها الكبار لاشباع حاجاتهم للتعلم ، فان نجاح جهودهم في ذلك السبيل سوف تتأثر بقدرتهم على التعلم ، وبدافعهم وبحالتهم الانفعالية والفسولوجية ، وتشكل العوامل النفسية عنصرا اساسا في عملية تعليم الكبار ، كما هو الشأن في تعلمهم .
وان التطور المتواصل للحياة الاجتماعية يفرض على الناس ان يتعلموا بشكل متواصل ، وهكذا ظهر مفهوم التربية المستمرة واخذ تعابير عدة مثل التربية الدائمة والتربية مدى الحياة والتعليم غير النظامي الرسمي وكل هذه الالفاظ تؤكد على ضرورة استمرار تعليم الفرد طيلة حياته. (محمد ، 2004 ص50-51)
غير ان الاهتمام بتعليم الكبار بدأ متاخرا مقارنة بما تم في مجال التعليم النظامي ورواده من الذين لايقعون ضمن مايعدهم المجتمع كبارا تجاوزوا سن الدراسة النظامية ، وان التأكيد الذي يكرسه علماء النفس ومعظم جهودهم ينصب على دراسة الطفولة والمراهقة اذ قد اهمل الكبار والاهتمام بتعليمهم بسبب التأكيد على العلوم الاجتماعية التي تدور كلها عن الشباب ناسين ان كل الشباب سيصبحون شيوخا وان للشيوخ ادوارا حضارية يجب الاعتراف بها كما ان لهم دورا كبيرا كاباء يدفعون التكاليف من اجل تربية صغارهم ، كما انهم ليسوا معزولين عن مجتمعاتهم وبحكم كون التصور للمجتمعات الصناعية يركز على مراكز القوى التي تميل الى الزيادة في صالح الكبار. (الياس ، 1999 ص32)

كما ان من ابرز الاسباب التي فرضت ضرورة الاهتمام بتعليم الكبار ذلك التفجر المعرفي والذي يتطلب ضرورة مواجهة التغيير الذي احدثه ويحدثه وكذلك انتشار وتوسع وتنوع الثورة التكنولوجية والتفجر السكاني وازدياد الحاجة لتوفير فرص التعلم والعمل على اوسع نطاق مما استوجب توفير بدائل واساليب مختلفة لتحقيق ذلك.

3 - التغييرات الاجتماعية :

ان ابرز ما تتصف به هذه التغيرات لدى المسنين تقلص علاقاتهم الاجتماعية ، مما ينتج عن هذا التغير الفراغ في حياته نتيجة لانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع الذي يؤدي بدوره الى ضعف الاتصال بالمجتمع .
(العمران ، 1992 ص71)

وهناك الكثير من مظاهر التغير في المجال الاجتماعي للفرد بتزايد وتقدم العمر وبعض هذه التغيرات تأتي نتيجة لعجز الفرد عن مجاراة ما تتطلبه الحياة من تغير في نمط علاقاته الاجتماعية او بسبب التبدل في التكوين العائلي مع تقدم العمر من تفرق بعض افراد العائلة بسبب الوفاة او الرحيل او الزواج او بسبب تغير ظروف العمل والتقاعد .. وكل هذه تحدث تغيرا في الصلات الانسانية واسلوب الحياة وتصور الفرد لمكانته الاجتماعية وتقديره لنفسه وجدوى حياته في العائلة والمجتمع وتتميز حياته الاجتماعية بفراغ فاذا ضاقت جميع هذه المجالات فانها تدفع بالفرد الى وضع من العزلة ، اذ انه مع التقاعد يفقد المسن الكثير من ادواره الاجتماعية ويفقد عمله كما يصاحب التقاعد فقد الصداقات والمكانة ويظهر ذلك في عزلته الاجتماعية . (كمال ، 1989 ص223)

وهناك عدد من التغيرات الاجتماعية المصاحبة لمرحلة الشيخوخة ومن مظاهر هذه التغيرات فقدان عدد من الانشطة والاهتمامات والاعتماد على الاخرين ، والخضوع لنفوذ الراشدين وبواجه المسن عددا من المشكلات التي تعوق توافقه النفسي والاجتماعي ومنها العزلة ووقت الفراغ وعدم قدرته على التكيف الفكري مع ظروف البيئة وانخفاض الدخل الشهري و تدهور الحالة الصحية وضعف الحواس والذاكرة والاصابة ببعض الامراض الجسمية والنفسية وكثرة الخلافات الاسرية وغير ذلك .

والاسلام ولاشك دين انساني يحترم الانسان كما هو واضح في قوله تعالى :
((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) . (20)

فالإنسان مخلوق محترم ومكرم لقيمته الانسانية الذاتية وقد حرص الاسلام على تنظيم العلاقات الاسرية والاجتماعية على اساس من العدل والمساواة والتعاون والاخاء والمحبة والسكينة والعطف والتكافل واذا كان الاسلام قد حرص على صون كرامة الانسان في كل مراحل نموه فقد عني عناية خاصة بتوقير الكبار واحترامهم والعطف عليهم والاحسان اليهم .

وان قضية كبار السن يختلف منظورها من مجتمع لآخر ، لأن ما يصح تطبيقه في مجتمع لا يصح في مجتمع آخر لاختلاف القيم والخصائص الاجتماعية والفردية في المجتمعات ، والاسلام عقيدة وفكرا ونظاما متمثلا في كتاب الله وسنة رسوله وما جاء في التراث الاسلامي قد أولى مرحلة الشيخوخة رعاية متميزة وما التكافل الاجتماعي الا نظم تخفف من أعباء الشيخوخة ، فقد فرض الاسلام الزكاة اذ قال تعالى :

((وَالَّذِينَ فِيْ اَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُوْمٌ)) . (21)

كما دعا الى الانفاق ومساعدة الفقراء والضعفاء بقوله تعالى :

((وَمَا اَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ)) . (22)

والاسلام حفظ للانسان كرامته فامر باكرامه عند شيبته وحث على القيام بشؤونه وهو النموذج الذي جسده ابننا شعيب عليه السلام اللتان قالتا : ((لَا نَسْقِيْ حَتَّى يُصَدِرَ الرَّعَاءُ وَاَبُوْنَا شَيْخٌ كَبِيْرٌ)) . (23)

ومن النماذج الحية على توقير واحترام كبار السن في الاسلام تقديمهم في امور كثيرة كاعطاء كبير السن افضلية في امامة المسلمين ، فعن ابي مسعود عقبه ابن عمرو البديري الانصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((يَوْمَ الْقَوْمِ اَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَاِنْ كَانُوْا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَاَعْلَمُهُمْ بِالسَّنَةِ ، فَاِنْ كَانُوْا فِي السَّنَةِ سَوَاءً فَاَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً ، فَاِنْ كَانُوْا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَاَكْبَرُهُمْ سِنًا ، وَلَا يَقُوْمُ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَجْلِسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ اِلَّا بِاِذْنِهِ)) . (سورة ، 2005 ص 90)
واكد الاسلام على اعطاء الكبير حق الكلام قبل الصغير في المجالس فقد قال ﷺ : ((كِبَرٌ)) .

(مسلم ، 2005ص713)

وفي القاء السلام ق ال ﴿ﷺ﴾ : ((يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير)) . (سورة ، 2005 ص756)
وفي تقديم الشرب ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان اذا سقي قال : ((ابدوا بال كبير أو قال الاكابر)) . (الألباني ، ب.ت ، ص381)
وفي السواك ايضا فعن ابن عمر رضي الله عنهما : ان النبي ﴿ﷺ﴾ قال : ((أراني أتسوك بسواك ، فجاءني رجلان ، احدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي : كبر ، فدفعته الى الأكبر منهما)) . (الزبيدي ، 2007 ص58)

كما جاء عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله قال : ((ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولاالجافي عنه واكرام ذي السلطان المقسط)) . (البخاري ، 2003 ص110) وكان الخلفاء يكرمون الكبير ويوقرونه فقد حدث ذات يوم أن صادف (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه رجلا طاعنا في السن يستجدي ، فسأله لماذا تستجدي؟ فقال له الشيخ انه قد دفع الجزية ولم يكن مايكسبه ليدفع الجزية ، فأرسل عمر المستجدي الى بيت المال ورتب له مرتبا وقال عمر قولته الشهيرة : " أخذنا منه في شبابه ولم نعرفه حقه في شيخوخته ". (الراوي ، 1999ص82)

وحرص الرسول ﴿ﷺ﴾ على تحقيق التوافق والبر والرحمة بين افراد امته ليعلو ويرتفع شأنها ولقد دعا ﴿ﷺ﴾ الى ان نحسن معاملة المسنين وان نوقرهم فجاء في الحديث الشريف : ((من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)) . (البخاري ، 2003ص109)

وقوله : ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) . (الزبيدي ، 2007 ص27)

و في اكرام الكبار والعجزة عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
: ((مأكرم شاب شيخا لسنه الأقيص الله له من يكرمه عند سنه)).(سورة ، 2005
ص580)

فكلما ظلت مكانة الكبير محفوظة ومقدرة كلما احتفظ بإمكانية التعامل
الاجبائي والاتصال الاجتماعي ، وكلما استطاع المساهمة في النشاط والحياة العائلية
و كلما اطال ذلك من شعوره بالكفاءة والمقدرة والحيوية ويدفع عنه الاحساس بالعجز
والقصور .

ولاشك ان احترام كبار السن في المجتمع الافادة من خبرتهم وحكمتهم
وتجاربيهم في الحياة لذلك فقد اشار الشيخ (ابو حاتم السجستاني) ت 235هـ في
كتابه (المعمرون والوصايا) الذي جمع فيه اخبار المعمرين من العرب الى مجموعة
من الحكم والوصايا التي اوصى بها بعض من عاشوا طويلا وعمرؤا و أولهم على
سبيل المثال (القلمس) وهو امية بن عوف الذي عاش دهرا طويلا ، وهو من حكماء
العرب وكان جده الحارث بن كندة الذي لما حضرته الوفاة قال : (... واستوصوا
بذوي اسنانكم خيرا ، اجملوا مخاطبتهم ، وقدموهم امامكم ، وزينوا بهم مجالسكم ...)
اما وصية قيس بن عاصم المنقري بنيه ، قال : (اوصيكم بتقوى الله عز وجل ،
وسودوا أكبركم ، فان القوم اذا سودوا أكبرهم لم يفتقدوا أباهم) كما جمع المهلب بنيه
واوصاهم : (يابني ، سودوا أكبركم وأعزوا ذوي أسنانكم تعظمووا بذلك ، وارحموا
صغيركم ، وقربوه ، وأطفوه ...) .

(السجستاني ، ب.ت ص 35-45)

لذا فان أساس مشكلة المسنين مشكلة اجتماعية قبل ان تكون مشكلة نفسية او
صحية وان العناية بالجوانب الاجتماعية ذات اثر بالغ و ايجابي على الحالة النفسية
التي من شأنها ان تحسن من الحالة الصحية وتقلل من اعباء الشيخوخة .

4 - التغيرات النفسية :

يعد التقدم في السن عملية مستمرة تتطلب التكيف المستمر مع التغير ، وتوقع
المزيد من التغير في الموقف الحالي ، وبذلك يشير التوافق مع التقدم في السن الى

ردود فعل الفرد تجاه تداخل التغيرات البيولوجية والاجتماعية والنفسية التي تعد جزءا من التقدم في السن ، كما يشير الى مدى الرضا عن الحياة والتخلص من القلق واليأس ومن العوامل المؤثرة في التوافق الذاتي للمسنين ، الموقف السائد في الحياة والعلاقات الاجتماعية السائدة ومدى الاحساس بعقدة الشيخوخة ومدى تقبل الذات . (قناوي ، 1987 ص 52)

ولا تتفصل التغيرات النفسية للشيخوخة عن التغيرات الاجتماعية بل هي على علاقة وثيقة وترتبط بها بشكل كبير ، فالتوافق على سبيل المثال يتضمن الجانبين النفسي والاجتماعي في آن واحد ، وبرزت هذه التغيرات تغير مفهوم الفرد عن ذاته والشعور بالقلق والاكتئاب والملل وتوهم المرض وكثرة الشكوى والحساسية الزائدة والاعجاب بالماضي والعناد والشك .

ومن القواعد المنطقية عليها ان الصحة النفسية انما تستمد اصولها من العلاقة الوثيقة التي تربط الفرد بالآخرين ، وان اي حالة يجرى فيها المسن من هذه العلاقة تكون سببا في اضطرابه النفسي وان الحاجة الى العطف والحب والطمأنينة من الحاجات الاساسية للمسن وان هذا الاحتياج ليزداد يوما بعد يوم كلما تقدم العمر . (احمد ، 1998 ص 11)

ومن خصائص الشيخوخة ايضا صعوبة ملاحقة التطور مع ضعف القدرة على التكيف مع هذه السرعة ، وزيادة التدهور في كثير من القدرات النفسية والجسمية والميل الى الانطواء والشعور بقرب النهاية والنجسية وحب الذات والأنانية ، وكثيرا ما يشعر المسنون بانهم غير مفيدون وغير مرغوب فيهم ، فحينما يواجهون بعض المواقف الضاغطة في منتصف العمر يسيطر عليهم القلق والاكتئاب ، ويبدأون بالتفكير والتأمل الذاتي بدرجة كبيرة ويؤدي الشعور بالنفع والأمان دورا بالغ الأهمية في حياة الشيخ مما يجعله لايفقد الرغبة في الحياة ، فللشيخوخة منافعها للمجتمع فسرد الاخطاء وما وقعوا فيه ذخيرة للشباب تحل كثيرا من مشاكلهم ، لذا فأى اهتمام بهؤلاء الشيخوخ يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع ، وهناك كثيرون

لايشعرون بصعوبة حياة الشيخوخة لتوافر شعور الأمان والنفعة ، وآخرون يعانون نوعا من المتاعب النفسية والعقلية لفراغ حياتهم وقلة النفع .

(معوض ، 1999 ص 171)

وقد أثبتت الدراسات النفسية ان من بين التغيرات التي تصاحب هذه المرحلة ما يتعلق بالحالة النفسية والانفعالية ، فالامراض العصابية والذهانية من اهم امراض الشيخوخة في المجتمع المعاصر الذي تؤدي فيه العزلة الاجتماعية والعجز والتقاعد دورا كبيرا ، ويذكر بعض الباحثين انه عندما يخفق المسنون في الابقاء على علاقاتهم وارتباطاتهم ببيئتهم الاجتماعية فان اسباب الاخفاق تكمن في البيئة وليس في كبر السن . (احمد ، 1998 ص 56)

ومن اهم الاعراض النفسية لدى المسن شعوره بعدم الاطمئنان والوسواس المرضي والركون الى افكار الموت والخشية منه وتناقص الثقة بالنفس وتقديرها ، وكل ذلك يزيد في عزلة المسن وانفعاله واكتئابه . (كمال ، 1988 ص 221)
وقد أشار (اريكسون) الى ان المسن في هذه المرحلة يشعر بتقبل ذاته وتقبل الآخرين والظروف ولها جوانب قوية تتمثل في الحكمة لدى الفرد ، ومن ناحية اخرى فانه يشعر باليأس نتيجة لتقدم العمر ولتدهور بعض الوظائف الجسمية . (منسي وآخرون ، 2000 ص 193)

ان احالة الفرد على التقاعد بسبب بلوغ سن الستين لها تأثير سلبي على متغيري التوافق والرضا عن الحياة لدى المسنين ، حيث يشعر المسن بالحزن وضعف توافقه الشخصي والاجتماعي وذلك نظرا لعدم استمرار دوافع العمل لديه وانخفاض المستوى الاقتصادي للاسرة فضلا عن زيادة وقت الفراغ وشعوره بعدم اهتمام المجتمع به . (اسعد ، 1977 ص 41)

ويذكر ابن باجة بأن لكل سن يمر بها الانسان افعالا خاصة بقوله : " متى

كان ذو سن ما لا يفعل افعال القوى المنسوبة لتلك السن ، فانما هو في السن الاولى

لم ينفصل عنها ، ويين ان كل حال في سنّ ما فهي توطئة لما بعدها وخادم لها ...
ولذلك يستقبح على الشيخ التصابي لتباعد مابين السنين لذا يستحسن من الكهول
البر والتودد... " . (ابن باجه ، 1968 ص 157)

لذا من الواجب الاهتمام بالصحة النفسية للشيخ المسن وتحقيق الامن النفسي
والانفعالي له ، واشباع حاجاته النفسية وحل جميع مشكلاته النفسية ، واشعاره بالحب
و بحاجة اهله اليه وتحقيق عزة النفس له وانه يجب ان يقضي حياته في نشاط
وتفاؤل ، والحياة النفسية للفرد اذا تو افر فيها الحافز والتحدي والرفض للعجز فانها
تشع الحيوية في كيان الفرد وعكس ذلك تماما يحدث اذا كانت الحياة النفسية خالية
من الحماس والحافز والامل والتحدي فان عجزها وفقرها من هذه النواحي يشعر
صاحبها بفتور الهمة ويسارع في عجزه قبل اوانه ، ولقد تعوذ الرسول محمد ﷺ
من مرحلة الهرم بقوله :

((اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين
وغلبة الرجال)) .

(البخاري ، 2003 ص219)

واخيرا فالشيخوخة مرحلة عمرية تحدث بها تغيرات مختلفة تكمن في الضعف
العام ، ويحاول الغرب بشكل واضح التوصل الى علاج للشيخوخة والهرم الذي
يصيب بعض الناس في كبرهم ، وهي محاولات مكتوب لها الفشل مسبقا بنص
حديث رسول الله ﷺ الذي رواه اسامة بن شريل - رضي الله عنه - ان الاعراب
قالت : يارسول الله ألا نتداوى ، قال : نعم يا عباد الله تداووا ، فان الله لم يضع داء
الا وضع له شفاء الا داء واحدا وما هو ؟ قال : الهرم " . (البخاري ، 1405هـ
ص110)

لقد شمل الاسلام بتعاليمه وآدابه وأخلاقياته كل فئات العمر لينظم حياة الناس ويحفظ وحدتهم ويرعى حقوق ، وهذا هو خلق الأئمة والصالحين ازاء الكبير ، انه الاحترام والاجلال والبر وتقديمه اذا كان مؤهلا واعانته شيئا كبيرا ، ويمكن أن نجمل أبرز الاستنتاجات التي انتهت إليها هذه الدراسة بان رعاية كبار السن في الاسلام تقوم على اسس عديدة منها :-

- 1 ابن المجتمع الاسلامي مجتمع يسوده التراحم والتماسك والتواد .
- 2 جزاء الاحسان في الدين الاسلامي هو الاحسان .
- 3 ابن كبير السن المؤمن له منزلة ومكانة متميزة في الاسلام وعند الله .
- 4 التثخيف على المسن في كثير من الاحكام والتشريعات مراعاة للضعف الحاصل لديه في القوى كافة .
- 5 فضل طلب العلم مدى الحياة واستمرار طلب ثواب التعلم .

ABSTRACT

The Islamic religion tries through its attitudes social and moral systems to spread mercy, respect and sympathy aspects among Islamic society, because these atmospheres enables us to all the negatives and pass all difficulties which prevent more cooperation among the society, that looks at Islamic and social principles, values that the old have, the only way which reduce oldness disease and aspects , which makes him feel that he is respectable in his society and he is at the first level . The researcher aimed from this study at identifying the position of Islamic Arabic thought towards the old in all its, physical, mental, social and psychological aspects. Concerning the methodology of the research, she adopts the analytic, historical and descriptive approach. This research deals with the changes of the old from all its aspects through Quran and Islamic laws and trying to reduce and simplify a lot of things from them, the researcher based on Quran and the prophets sayings and also on the saying of the Moslem Arab thinkers The most prominent results the researcher has arrived are:

Human being is a respectable person in all his age stages and also respecting the old in one of Islamic society characteristics.

Then the researcher recommended and urged on taking care of the old, and also she emphasized on their economic and financial safety and their physical safety.

She assured on teaching, them continuously to face life problems and enter work field to create a continuous feeling for them that they are wanted and needed by the society and they are at the first level, also to protect them from loneliness and depression.

هوامش البحث :

- (1) : الاسراء ، الآية 23
- (2) : الحج ، الآية 5
- (3) : البقرة ، الآية 83
- (4) : النساء ، الآية 36
- (5) : لقمان ، الآية 15
- (6) : الاسراء ، الآية 23
- (7) : الاسراء ، الآية 24
- (8) : لقمان ، الآية 14
- (9) : الاسراء ، الآية 23
- (10) : العنكبوت ، الآية 8
- (11) : الروم ، الآية 54
- (12) : ياسين ، الآية 68
- (13) : مريم ، الآية 4
- (14) : هود ، الآية 72
- (15) : البقرة ، الآية 286
- (16) : البقرة ، الآية 185
- (17) : البقرة ، الآية 184
- (18) : النحل ، الآية 70
- (19) : طه ، الآية 114
- (20) : الاسراء ، الآية 70
- (21) : المعارج ، الآية 24
- (22) : سبأ ، الآية 39
- (23) : القصص ، الآية 23

المصادر

- القرآن الكريم

- 1 - ابن باجه ، ابو بكر بن الصائغ (ت 533هـ). (1968) . رسائل ابن باجه الالهية ، تحقيق وتقديم ماجد فخري ، بيروت : دار النهار للنشر .
- 2 - ابن العربي المالكي . (ب.ت) . عارضه الاحوذى لشرح صحيح الترمذي ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- 3 - ابن كثير . (ب.ت) ، تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ، مكة المكرمة : دار الباز .
- 4 - ابن منظور . (2003) . لسان العرب . م 5 القاهرة : دار الحديث .
- 5 - احمد ، سهير كامل . (1998) . دراسات في سيكولوجية المسنين ، ج 5 ، مركز الاسكندرية للكتاب .
- 6 - احمد بن حنبل . (1413هـ) . المسند ، تحقيق محمد سليم سمارة وزملاءه ، بيروت : المكتب الاسلامي .
- 7 - اسعد ، يوسف ميخائيل . (1977) . رعاية الشيخوخة ، القاهرة : مكتبة غريب .
- 8 الاعلان العالمي لحقوق الانسان
http:// www. Unhcher.ch/
unhr/lang/eng.htm
- 9 آغا ، كمال الدين عبد المعطي . (1984) . مشكلات التقدم في السن ، الكويت : دار القلم .
- 10 - الالباني . (ب.ت) . سلسلة الاحاديث الصحيحة ، ج 4 .
- 11 - الياس ، طه الحاج . (1999) . التعليم غير النظامي تعليم الكبار ، عمان : دارمجدلاوي للنشر والتوزيع .
- 12 - البخاري ، محمد بن اسماعيل . (1401هـ) . صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى البغا ، ج 1 بيروت : دار القلم .

- 13- البخاري ، محمد بن اسماعيل ت 526 هـ . (2003) . الادب المفرد الجامع للآداب النبوية ، ضبط خالد عبد الرحمن العك ط3 بيروت : دار المعرفة .
- 14- بيسكوف ، ليفوردج . (1984) . علم نفس الكبار ، ترجمة عايف حبيب ودحام الكيال ومراجعة عبد الرحمن القيسي ، الكويت : مؤسسة الخليج للطباعة والنشر .
- 15 - حافظ ، ناهدة عبد الكريم . (2002) . الرعاية الاجتماعية للمسنين ، مجلة اليرموك ، السنة (1) العدد (3) .
- 16 - خليفة ، عبد اللطيف محمد . (ب.ت) . دراسات في سيكولوجية المسنين ، القاهرة : دار غريب .
- 17- خليفة ، ابراهيم محمد احمد . (1984) . تعريف وتجديد مجال المفاهيم العامة في مجال الشيخوخة ، الكويت : دار القلم .
- 18- دليل المدن الصديقة للمسنين
<http://www.who.int/media centre/ news/releases>
- 19- الراوي ، مسارع حسن . (1999) . سيكولوجية الشيخوخة وموقف الاسلام من كبار السن ، بغداد : دار الكتب .
- 20- الزبيدي ، زين الدين احمد بن احمد بن عبد اللطيف ت 893 هـ . (2007) . مختصر صحيح البخاري (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) ، بيروت : دار المعرفة .
- 21- الزبيدي ، كامل علوان . (2005) ، علم نفس الكبار ، بغداد .
- 22 - ستيفن وشروود . (1413 هـ) . طب الشيخوخة والمريض المسن ، ترجمة ماجد العطار ، سوريا : دار القلم العربي .
- 23- السجستاني ، ابو حاتم سهل بن عثمان . (ب.ت) . المعمرون والوصايا .
- 24- سلطان ، محمود السيد . (1977) . مفاهيم تربوية في الاسلام ، الكويت : مؤسسة الوحدة .

- 25 - سورة ، ابي عيسى محمد بن عيسى . (2005) . سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، تحقيق وتخريج احمد زهوة واحمد عناية ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- 26- الشريف المرتضى . (1303هـ). الشهاب في المشيب والشباب ، قسنطينة : مطبعة الجواب.
- 27- شعبان ، مظفر صلاح الدين وسمير صلاح الدين . (1984). المسنون بين العلم والحضارة . مجلة الفيصل . العدد (68) السنة (6) ، الرياض..
- 28- العاني ، عايف حبيب واخرون . (1994) . تعليم الكبار ، ط2 ، مكتبة الصياد للطباعة..
- 29- العمران ، هالة . (1992) . التوافق عند المسنين ، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، البحرين .
- 30- القرطبي . (ب.ت) . الجامع لأحكام القرآن . ج 1 ، القاهرة : دار الكتاب العربي .
- 31- قناوي ، هدى محمد . (1987) . سيكولوجية المسنين ، القاهرة : مركز التنمية البشرية والمعلومات .
- 32 - كمال ، علي (1988)0 . النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها ، ط4 .
- 33 -الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب . (1955) . ادب الدنيا والدين ، تحقيق مصطفى السقا ، ط3 ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي واولاده.
- 34- مجمع اللغة العربية . (1990) . المعجم الوجيز ، القاهرة : مطابع وزارة التربية والتعليم .
- 35 - محمد ، محمد جاسم . (2004) . تفريد التعليم والتعليم المستمر ، عمان : دار الثقافة .
- 36 - مسلم بن الحجاج ابو الحسن (ت 261هـ) . (2005) . صحيح مسلم ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار الافاق العربية .

- 37 - معوض ، عباس محمود . (1999) . المدخل الى علم نفس النمو ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية
- 38 - منسي ، محمود عبد الحليم واخرون . (2000) . علم نفس النمو ، مركز الاسكندرية للكتاب .
- 39- الهواري ، صلاح الدين . (2004) . ديوان ابي العتاهية ، بيروت : دار ومكتبة الهلال .
- 40- الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت 807هـ) . (1407هـ) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- 41- وزارة العدل . قانون الرعاية الاجتماعية (1929) لسنة 1980 ، اصلاح النظام القانوني (9) ، بغداد : مطبعة وزارة العدل.
- 42- اليوم الدولي للمسنين

<http://www.un.org/arabic/events/olderpersons/2006/background.asp>